وإذا انصرفنا عن مدينة الجزائر فبالنسبة لمدينة قسنطينة فإنها لا تزال تحتفظ ببعض المساجد من العهد العثماني وربما نذكر من أهمها **جامع سيدي الكتاني** الذي يعد نموذجا هاما لعمارة المساجد العثمانية بالجزائر .

يقع هذا المسجد حاليا في رحبة سوق العصر مشرفا على شارع بوهالي العيد من خلال واجهته الشرقية ، بني هذا المسجد في عهد صالح باي (1771-1792) بحي سيدي الكتاني ، هذا الحي الذي كان أغلب سكانه من اليهود .

وقع اختيار صالح باي على هذا الحي ليبني به مسكنه الخاص ومجموعة منشآت أخرى ، وقام لهذا الغرض بشراء الملكيات الخاصة الموجودة هناك سواء من اليهود أو المسلمين بالتراضي وبعقود سليمة لا يزال بعضها موجودا في السجلات القديمة .

في وسط هذا المجمع السكاني كان يوجد ضريح ولي يدعى سيدي الكتاني فكان أول ما بدأ به صالح باي تشييد مسجد كبير وجميل في موقع الضريح ، هذا المسجد في المجمل لا يزال موجودا كما هو ، لكن الفرنسيين قاموا ببعض التعديلات على واجهته الخارجية .

مقابل المسجد أقام صالح باي مجموعة كبيرة من الدكاكين شكلت فيما بينها ساحة صارت سوقا سمي سوق الجمعة ، وحاليا يحمل اسم سوق العصر .

انتهى بناء المسجد سنة 1776 ، وهذا ما تدل عليه كتابة تأسيسية نقشت على لوح مربع من الرخام يعلو باب المدخل الجنوبي الذي صار موصدا اليوم ، تضم الكتابة سبعة أسطر نفذت بخط النسخ ، السطر الأول تضمن البسملة والصلعمة في إطار ، والست الباقية هي عبارة عن أبيات شعر وضع كل مصراع منها داخل إطار من خطين أفقيين متوازيين موصولين على الجانبين بعقدين متجاوزين منكسرين وزين مابين الإطارات بدوائر داخلها زهرات ، وها هو نص الكتابة :

سطر 01 : بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا محمد .

سطر 02 : مطالع الخير جاءت * من افق شاو السعاده .

سطر 03 : واشرق الجو منها * بمسجد للافاده .

سطر 04 : بناه باي الزمان * هو صالح ذو المجاده .

سطر 05 : تراه في الخير يسعى * ذخرا ليوم الاعاده .

سطر 06 : حباه ربي بيتا * في جنة وزياده .

سطر 07 : ان رمت تاريخه قل " سنة 1190 " ذا مسجد للعباده .

وتاريخ 1190 هـ يوافق سنة 1776 وهو نفس التاريخ الذي ذكره ميرسييه ، وقد نفذت الكتابة بخط نسخ بسيط و بطريقة غائرة وملئ التجويف بالرصاص ، وجاء اللوح الرخامي داخل إطار مربع من الجص وتحيط بهذا الإطار عدة زخارف نباتية متنوعة .

بيت الصلاة بهذا الجامع مستطيل المسقط بعمق 22.8 وعرض 30.4 م ، علما أن هذا الجامع يصنف ضمن المساجد المعلقة ، بمعنى أنه يتم الصعود لبيت الصلاة بواسطة سلم لأن المبنى به دور أرضي به قاعات استعملت لأغراض عدة ، ويتوسطه صحن به نافورة ، وتحيط به بوائك من عقود نصف دائرية ، أما بيت الصلاة فيتكون من خمسة أساكيب تشكلها أربع بوائك تتكون من خمسة عقود ، تحملها أعمدة رخامية أسطوانية ملساء ، أما المحراب فهو مضلع التجويف وتقابله بلاطة مستعرضة تحدها بائكتان من خمسة عقود أيضا محمولة على أعمدة ، وغطيت بثلاث قبيبات وفيما عداها فقد استعمل السقف الخشبي المسطح ، ولبيت الصلاة هذا مدخلان يفتحان مباشرة عليه ، بالإضافة إلى ثلاثة مداخل أخرى في الطابق الأرضي .

أما مئذنة الجامع فتقع بالزاوية الشمالية الشرقية ، وهي من النوع الرشيق أسطوانية المسقط وتنتهي بجوسق دائري وفوقه قبيبة مخروطية .

ولغرض بناء وتجهيز المسجد جلب صالح باي من إيطاليا مواد ثمينة من الزليج والرخام ومنبرا رخاميا ، هذا المنبر تم صنعه وتجهيزه في ليفورن من عدة قطع ثم ركب مباشرة في الجامع من طرف عمال قدموا من ليفورن خصيصا لهذا الغرض .

وهناك كتابة أخرى تذكارية وليست تأسيسية توجد على واجهة هذا المنبر الرخامي تذكر أن مؤسس هذا المنبر هو صالح باي ، الكتابة من سطرين نفذت بخط ثلث جميل وهذا نصها :

سطر 01 : لا اله الا الله * محمد رسول الله .

سطر 02 : بنى منبرا بالعز والنصر صالح * له سبل الخيرات تاريخه رشد .

وبالإضافة إلى هذا المسجد هناك مساجد أخرى بمدينة قسنطينة من العهد العثماني نذكر منها جامع سوق الغزل الذي بني بأمر الباي حسين كلياني سنة 1143 هـ (1730) ، وقد كانت به كتابة تأسيسية على لوح رخامي نقلها الفرنسيون إلى قصر الحاج أحمد باي بعد أن قاموا بتحويل المسجد إلى كاتدرائية وأدخلوا عليه كثيرا من التغييرات أفقدته كثيرا من شكله الأصلي ، بيت الصلاة متوسط الحجم مستطيل المسقط به سبع بلاطات وخمسة أساكيب تتوزع على عمق 18.25 وعرض 24.5 م .

يمكن أن نذكر أيضا الجامع الأخضر الذي بني بأمر الباي حسن بوحنك سنة 1156 هـ (1743) بحسب كتابتين تأسيسيتين مثبتتين بالرواق الذي يسبق بيت الصلاة الذي يكون عمقه 15 م وعرضه 13.5 م تتوزع به خمسة أساكيب وخمس بلاطات ، وله مئذنة مثمنة المسقط .

وينسب إلى صالح باي بناء مسجد آخر بمدينة عنابة ، وكان بناؤه في أواخر أيام حكمه في 1206 هـ (سبتمبر 1791) كما تدل عليه الكتابة التأسيسية ، وعلى عكس جامع سيدي الكتاني بقسنطينة فإن هذا الجامع لم يُهْتم به كثيرا ، ولم تدخل في إنشائه المواد الجميلة والثمينة ، بيت الصلاة صغير الحجم نسبيا بعمق 12.6 م وعرض 14.4 م يقوم تسقيفه على قبة مركزية تحيط بها ست قباب صغيرة عن الجانبين وأقبية في المؤخر ، وله صحن مستطيل ومئذنة أسطوانية المسقط مشابهة تماما لمئذنة سيدي الكتاني .

ومن نماذج مدينة وهران يمكن أن نذكر **جامع الباشا** ، تم تأسيس هذا المسجد بمدينة وهران سنة 1796 بأمر من الداي بابا حسن وذلك تيمنا بالفتح المبين للمدينة وتحريرها من الاحتلال الإسباني ضمن خطة لإعادة الوجه العربي الإسلامي إليها بعد أن مسخها الإسبان النصارى وطمسوا معظم معالمها الحضارية الإسلامية .

بني المسجد من أموال الإسبان التي دفعوها افتداء لأسراهم ونقش اسم المؤسس على لوحة حجرية فصلت لاحقا عن المبنى ونقلت إلى مقر إدارة أملاك الدولة لتحفظ هناك كوثيقة لإثبات الأملاك الموقوفة على المسجد .

أسس المسجد في الشمال الشرقي للمدينة على الضفة اليمنى الشرقية لوادي الرحى الذي يعرف اليوم بوادي رأس العين في سفح شديد الانحدار جنوب غرب برج

الأمحال أو البرج الأحمر قبالة حي القصبة على الضفة اليسرى الغربية للوادي ويجاوره من جهة الجنوب حي درب اليهود الذي بني في نفس الفترة تقريبا على أراض قدمها الباي محمد الكبير مجانا لليهود ، ويتألف المسجد من قاعة للصلاة متوسطة الحجم مربعة الشكل تتوسطها قبة عالية وواسعة ، وبزاويتها الغربية سدة عالية قائمة على أربعة سواري من الرخام الأبيض ، وأمام المسجد على زاويته الجنوبية الشرقية تقع مئذنته العالية جدا والجميلة بنقوشها وزخرفتها وهي مثمنة الشكل على عكس باقي منارات مساجد بلدان المغرب والأندلس المربعة الشكل .

وبعد أن تم بناء المسجد حبست عليه الكثير من الأوقاف كالحمامات والمتاجر وبعض الأراضي والحقول على عادة المسلمين لينفق عليه سجلت كلها مع تاريخ التأسيس على لوحة رخامية توجد حاليا بالمتحف البلدي للمدينة .

أما عن الكتابة فهي طويلة جدا نظرا لكثرة الأملاك المحبسة على الجامع ، جاءت في 13 سطرا حملت اسم المؤسس وتضمنت تاريخ الإنجاز أيضا وها هو نصها :

سطر 01 : بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

سطر 02 : الحمد لله وحده هذا الجامع بناه المعظم الارفع الهمام الانفع مولانا .

سطر 03 : السيد حسن باشا لازالت اعداء الدين من هيبته تتلاشى بمحروسه وهران خلدها الله دار ايمان .

سطر 04 : وحبس عليها ما يذكر بعد هذا بلغه الله مناه ورزقه ما يتمناه بمنه وحوله امين .

سطر 05 : فمن ذلك الحمام الذي بقربه من جهة الغرب والحانوتان اللتان عند حوانيت السيد الطاهر بن الحاج .

سطر 06 : احمد والحانوت التي بين حانوت سي علي بن عبد القادر وحانوت سي عبد السلام والحانوت التي بين حانوت السيد .

سطر 07 : الحاج المكي وحانوت السيد الطاهر بن حاج احمد وحانوت اخر بين حانوت سي عثمان بن خده وحوانيت السيد مصطفى بن .

سطر 08 : عبد الله بن دح وحانوتان فوق حوانيت السيد الطاهر المشرفي مع حانوتين بين اربع حوانيت الذمي ياه ولد .

سطر 09 : داود وحانوتان مقابلتان لمنارة الجامع المذكور مع اربع حوانيت ونصف العلي تحد هذه السته ونصف .

سطر 10 : العلي من جهة البحر حانوت يرفدار ومن جهة الغرب حوانيت سي احمد بن منصور مع الاربعة عشر حانوتا التي .

سطر 11 : تحت حائط الجامع المذكور كما ان الدارين الصغيرتين بزاء الحمام .

سطر 12 : المذكور حبس على الجامع المسطور قيدت هذه الاحباس في اواسط .

سطر 13 : رمضان من سنة 1210 في ولاية المنصور ابي الحسن السيد حسن باشا ايده الله .

والتاريخ المذكور في الكتابة يوافق نهاية شهر مارس من سنة 1796 بالضبط ، وقد كتبت الأستاذة بن بلة أن تاريخ التأسيس هو سنة 1792 بناء على التاريخ الهجري المذكور في الكتابة ، وأظن أنه خطأ مطبعي فقط لأن الأستاذة استخدمت الأرقام الهندية وهناك تشابه كبير فيها بين رقم 2 ورقم 6 ، لكن فاي أيضا أخطأ في التاريخ وكتب أنه يوافق مارس من سنة 1790 مع العلم أن هذا التاريخ يخرج حتى عن فترة حكم حسن باشا (1791 - 1798) ولا أدري كيف وقع في هذا الخطأ الجسيم .

يقوم تخطيط هذا المسجد على بيت صلاة مربع المسقط تقريبا طوله 28.6 م وعرضه 27.65 م ، مركزه مغطى بقبة مضلعة كبيرة محمولة على ثماني دعامات كبيرة ، وثماني أعمدة مزدوجة ، وباقي بيت الصلاة مكون من سبع بلاطات تحدها ست بوائك بعقود حدوية مدببة ، وسبعة أساكيبة تحدها هي الأخرى ست بوائك بعقود مماثلة ، ويتوسط جدار القبلة محراب مجوف ، تجويفه ذو مسقط مضلع تعلوه نصف قبيبة مكسوة ببلاطات خزفية ، وتكتنفه أعمدة رخامية ، وتقابله في المركز أسفل القبة دكة المبلغ من الخشب محمولة على أربع أعمدة رخامية مماثلة لتلك التي تكتنف المحراب شكلا وأبعادا ، أما المئذنة فإنها تقع في الركن الجنوبي الغربي من المسجد ، وهي من نوع المآذن الرشيقة مثمنة المسقط ، عرض كل ضلع منها 02.2 م ، ويصل ارتفاعها الإجمالي إلى 32 م .

وبعد أن تم بناء المسجد حبست عليه الكثير من الأوقاف كالحمامات والمتاجر وبعض الأراضي والحقول على عادة المسلمين لينفق عليه سجلت كلها مع تاريخ التأسيس في 13 سطر على لوحة رخامية توجد حاليا بالمتحف البلدي للمدينة .

أما معسكر فبها نموذجان هامان ، الأول هو الجامع الكبير وقد بني سنة 1160 هـ (1747م) من طرف عثمان باي ، أما الثاني فهو مسجد عين البيضاء ويسمى أيضا مسجد المبايعة وقد بني سنة 1195 هـ (1781م) ، وهو نموذج للطراز الوافد من حيث تسقيفه بالقبة المركزية و مئذنته المثمنة .